من دروس الهجرة النبوية التخطيط

لماذا كانت الهجرة ؟!

الله عزوجل قادر على أن يحول قلوب أهل مكة لنصرة الدين بعد عداوته.

الله قادر على أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة كما قال صلى الله عليه وسلم : "لولا الهجرة لكنت امرؤ من الأنصار".

إن الهجرة قدر الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وعلى هذه الأمة من بعدهم هي سنة نبيهم وسنة المستضعفين من بعده قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠)} [النساء: ٩٧ - ١٠٠]. مراغما يعني تفريجا عما يجد.

الهجرة حدث عظيم مملوء بالعبر والعظات والتشريعات ومن ذلك أن الأنسان يخطط لدينه ويأخذ بالأسباب ويترك الباقي للتدابير الإلهية.

روى البخاري في صحيحه عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

خباب صاحب هذا الحديث من أوائل من جهروا بإسلامهم من الصحابة وقد أصابه من جراء ذلك تعذيب شديد من كفار قريش، ففي سنن ابن ماجه أن عمرا أدناه منه وطلب منه أن يريه آثار التعذيب فكشف عن ظهره فجعل يريه بظهره شيئا يعني من آثار تعذيب قريش له، وفي بعض الروايات أن عمر قال: ما رأيت كاليوم. قال خباب: لقد أوقدت لي نار وسحبت عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري.

هذه الحال وهذا التعذيب الشديد كان ديدن قريش للصد عن سبيل الله حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم ناله شيء من ذلك مع ما كان فيه من المنعة من قومه فروى البخاري ومسلم ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، إِذْ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ، فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ، فَأَخَذَتْ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ.

وروى البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: قَالَ: " بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ} [غافر: ٢٨] "

فجاء الأمر بالهجرة فهاجر جميع الصحابة ممن يقدر على الهجرة وبقي المستضعفون الذين يعجزون عن الهجرة وبقي النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ينتظر الرفقة.

إن رحلة الهجر النبوية من مكة إلى المدينة ليست حدثا عارضا مر وانتهى، أو خبرا من الأخبار قص وانتهى، بل هو يوم له ما بعده فقد تأسست على خطاه دولة الإسلام العظيمة التي ترامت أطرافها حتى شملت غالب بقاع الأرض.
هذا الحدث الجلل كان لابد من التخطيط الجيد له ومر هذا التدبير لأمر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بعدة مراحل وخطوات:
لما كان أبو بكر رضي الله عنه يهم بالهجرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبره ويقول له لعل الله يجعل لك صاحبا، ففهم أبو بكر وبدأ يعد راحلتين خصيصا للهجرة وجهز لذلك مالا كثيرا لينفقه على الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم.
ومن هذه التدابير للهجرة بيعتي العقبة الأولى والثانية.
وفيهما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم العهود والمواثيق على أهل المدينة بنصرة الدين وبذل الغالي والنفيس في حماية الدين والدفاع عنه.
إرسال مصعب بن عمير رضي الله عنه لنشر الدين في المدينة تعليم أهل المدينة أركان الإسلام حتى أنه أرسل للنبي البشارة بأنه لم يبق بيت في المدينة إلا ودخله الإسلام.
يوم الهجرة:
تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: (ما كانت تمر ليلة ويخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إلى بيت أبي بكر إما عشية أو صباحاً) تقول: (وفي ظهيرة يوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا وما كان يأتي في مثل تلك الساعة، فلما دخل وسلم تنحى له أبو بكر عن سريره وأجلسه بجواره، فقال صلى الله عليه وسلم: أخرج عنا من هنا).
تبدأ الآن الخطة، وهي تحتاج إلى كتمان وسرية، وهكذا كان منهج الهجرة تشريعاً وتعليماً ومنهج وطريقة حياة، لكل الدعاة يجب عليهم أن يعملوا بها، قال: (أخرج عنا من هنا، فقال أبو بكر: يا رسول الله! ما هما إلا ابنتاي، وما عليهم بأس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أذن لي في الهجرة، فقال أبو بكر: الرفقة يا رسول الله، قال: نعم، قالت: عائشة: والله ما رأيت إنساناً يبكي فرحاً كبكاء أبي بكر في ذلك اليوم) فقال أبو بكر: (يا رسول الله! هاتان راحلتان كنت أعددتهما لهذا اليوم).
قال العلماء: فذهب أبو بكر وبحث عن الدليل الخريت الذي يؤتمن على السر ويقوم بالخدمة، فجاء إلى عبد الله بن أريقط وكان على دين قومه، ولكنه معروف مشهور بالأمانة والوفاء، وبمعرفة الطريق، فأعطاه الرواحل وواعده عند الغار بعد ثلاثة أيام.
تجهيز الطعام لسفر:
روى البخاري عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: صَنَعْتُ سُفْرَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، حِينَ أَرَادَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى المَدِينَةِ، قَالَتْ: فَلَمْ نَجِدْ لِسُفْرَتِهِ، وَلاَ لِسِقَائِهِ مَا نَرْبِطُهُمَا بِهِ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: «وَاللَّهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُ بِهِ إِلَّا نِطَاقِي»، قَالَ: فَشُقِّيهِ بِاثْنَيْنِ، فَارْبِطِيهِ: بِوَاحِدٍ السِّقَاءَ، وَبِالْآخَرِ السُّفْرَةَ، «فَفَعَلْتُ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ».
طريق الخروج:
وَفِي اللَّيْلِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَأَبُو بَكْرٍ -رضي الله عنه- مِنْ خَوْخَةٍ لِأَبِي بَكْرٍ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ حَتَّى لَا يَرَاهُمَا أَحَدٌ، وَسَلَكَا طَرِيقًا غَيْرَ مَعْهُودَةٍ ، فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَسِيرَا نَحْوَ الشِّمَالِ ذَهَبَا إِلَى الجَنُوبِ حَيْثُ يُوجَدُ غَارُ ثَوْرٍ، وَهُوَ جَبَلٌ وَفِيهِ الغَارُ، اخْتَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لِيَأْوِي إِلَيْهِ لِتَضْلِيلِ المُشْرِكِينَ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قُرَيْشًا سَتَجِدُّ فِي طَلَبِهِ، وَأَنَّ الطَّرِيقَ الذِي سَتَتَّجِهُ إِلَيْهِ الأَنْظَارُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ هُوَ طَرِيقُ المَدِينَةِ الرَّئِيسِيُّ المُتَّجِهُ شَمَالًا، فَقَدْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الذِي يُضَادُّهُ تَمَامًا، وَهُوَ الطَّرِيقُ الوَاقِعُ جَنُوبَ مَكَّةَ.

ومكث صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاث ليالي ليخف عمه الطلب وتيأس قريش من البحث عنه وتظن أنه قد فارق الديار وبعد عنهما فيخرج يمشي في أمان بإذن الله تعالى.
تقصي أخبار قريش:
ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ.
محو آثار ابن أبي بكر:
وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا، حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ.
وهذا كان له فائدتان الأولى محو آثار عبد الله بن أبي بكر فالظاهر أن كان يسبق بالصعود والهبوط ويتلوه عامر يمحو آثاره.
والثانية أن يشربن من لبن الشياة الليالي الثلاث حتى يحين موعد الرحيل والخرج من الغار.
الخروج من الغار:
جاءهما عبد الله بن أريقط الليثي بالراحلتين عند باب الغار ثم أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن، ثم اتجه غربا نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى طريق لم يألفه الناس اتجه شمالا على مقربة من شاطئ البحر الأحمر، وسلك طريقا لم يكن يسلكه أحد إلا نادرا في اتجاه المدينة.
@ أناط النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بكل فرد من أفراد الهجرة مهمة مناسبة له وقد أدوها جميعا بعد مشيئة الله على أتم وجه.
فهذه التدابير قد تمت على نحو دقيق وإدارة واعيد لتحقق أهدافها ويل النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة
ليسعي لبناء المجتمع الإسلامي الذي تنطلق منه الدعوة لتنير مشارق الأرض ومغاربها.
@ كيف نستفيد من هذا التخطيط النبوي الشريف في استقبال العام الهجري الجديد ليكون خطوة لنا في طريق الوصول إلى مرضاة الله.
أولا أن يجلس كل منا مع نفسه جلسة محاسبة يستعرض فيها نتاجه في العام الماضي فإن وجد خيرا حمد الله وإلا فعليه بالتوبة العامة الخاصة من الذنوب والمعاصي.
عليه أن يستدرك الواجبات التي قصر فيها وأن يقضيها.
عليه أن يرد المظالم إلى أهلها ويستحلهم أو يستغفر لهم
روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ».
أن يعزم على إعمار أوقاته بالطاعة.
يحافظ على الصلاة في جماعة.
يختم القرآن مرات ومرات.
يقرأ كتابا لتفسير القرآن.
أن ينوي صيام المناسبات الخاصة ويزيد ما شاء الله من ثلاثة أيام كل شهر أو الإثنين والخميس أو يوما ويوم.
أن يصل رحمه.

أن يفتش كل منا داخل نفسه فيرى كيف يخدم دينه فيجهز الخطط والتدابير ليفوز بالنعيم المقيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.